(٣) رسالة المغرب : اليهود المغاربة واسرائيل

يمكننا ان نستخلص من دراسة سابقة(١) ومن الوقائع التي سنبينها هنا ، بعض النقاط الاساسية لهذه الرسالة : اولا ، ان هجرة اليهود المغاربة الى دولة اسرائيل حديثة العهد . فقد ظهرت بوادرها بعد عام ١٩٤٨ كما حصلت اولى الموجات الهامة في فترة ١٩٥٥ — ١٩٥٦ (وقد ضمت ٤٥ الف شخص اقتلع قسم كبير منهم من قراهم) . اما الهجرة الاساسية التي تضم اكثر من مئة الف شخص ، فهي تجري بشكل مستمر ومنتظم منذ اواخر عام ١٩٦١ . ها هو اذا ، وعلى طبيعته ، عنصر اساسي (يضم حوالي ٢٠٠ الف شخص) من هذه « الامة الاسرائيلية » المبنية على الدين وعلى مفهوم « الشعب اليهودي » . وثانيا ، بالنسبة للذين يتناسون كل بحث علمي حين يتعلق الامر بهذه الدولة ، يقدم الوضع **الحالي** لليهود المغاربة في دولة اسرائيل الدليل على ان الامم لا تبنى على الاوهام العنصرية . اما بالنسبة لمن لا يبالي بالعنصرية المعادية للعرب ، فان هذا الواقع يلقي الاضواء على الطبيعة الملموسة للدولة الصهيونية كمؤسسة للامبريالية الغربية . وثالثا ، ان المأزق الفعلي الذي وقع فيه اليهود المغاربة يفرض عليهم ان يتخطوا كافة التناقضات التي ولدها التغلغل الاستعماري والصهيوني باتجاه الحل الوحيد ، وهو **الثورة العربية** .

الاقتلاع

لقد كانت الهجرة ، بشكل عام ، بمثابة اقتلاع لليهود المغاربة من أرضهم بغية اعادة غرسهم في فلسطين المحتلة . فماذا كان وضع اليهود المغاربة في الخمسينات ؟ بامكاننا ان نقسمهم الى ثلاث فئات متوازية بشكل اساسي : الفئة الاولى التي بقيت مرتبطة بالفي عام من تاريخها ، تاريخ الجماعات الفلاحية في الجبال والمناطق شبه الصحراوية ، وهي جزء لا يتجزأ من تلك الجماعات العربية — البربرية التي تكوّن الواقع العميق لبلاد المغرب. الفئة الثانية التي كانت تتكون من جماعات حضرية تقليدية تتعاطى التجارة والحرف . الفئة الثالثة كانت الجماعة اليهودية في الدار البيضاء ، وكانت نتاجا للبؤس الاستعماري كسائر العمال وانصاف العمال في الدار البيضاء .

وكان مجمل اليهود المغاربة ، لظهورهم من مجتمع متعدد الجماعات ومزدوج الطوائف ، ينتظمون في نوعين من البنى هما البنية الثقافية والايديولوجية للحاخامين — وهي من البقايا المتحجرة للبنى القديمة — والبنية السياسية والاجتماعية للجماعات اليهودية ، وقد اقامتها سلطة الاستعمار مستندة الى البورجوازيين الكبار والمتوسطين من اليهود المغاربة الذين شجع الاستعمار بروزهم ونظم « تغريبهم » (اي تمثلهم بالغرب) . وكانت سلطة الاستعمار قد اخفت في كتابتها للتاريخ الواقع العميق لماضي هذه الجماعات . وقد نظم الاستعمار بالتعاون مع البورجوازية اليهودية في المغرب وهم « التغريب » . وكانت الصهيونية بالنسبة للشباب في المدن وسيلة التوفيق بين اتجاههم نحو «التغرب» وارتباطهم بالقيم التقليدية لليهودية . كما فعلت مآزق الحلول البورجوازية للاستقلال فعلها في هذا المجال . اما الجماعات الفلاحية فلا حاجة لاعدادها ايديولوجيا، فان الموقف السلبي المتواطىء للسلطة الاستعمارية ولجهاز الاستعمار الجديد الاقطاعي البورجوازي قد اتاح « لقادة » الجماعات اليهودية في المدن ان ينظموا اقتلاع قرى باكملها لاعادة زرعها في اسرائيل . وقد حاول الحاخامون ان يعيقوا تقدم الصهيونية السياسية التي اعتبروها معادية للدين (انظر دفاتر المجمع الرابع للحاخامين ، الرباط ، ١٩٥٢ ، ورسالة رئيس المحكمة الحاخامية بمكناس في ٥٢/٥/٥ المذكورة لاحقا) . ولكن قواهم كانت ضئيلة ، ولم يكن لديهم اي حل بديل . اما الاعوان ، من رجال الاعمال الاستعماريين والبورجوازيين اليهود بالاضافة الى جهاز الاقطاع الجديد والبورجوازية الكبيرة الاسلاميين ، فانهم يواصلون علاقاتهم المثمرة عبر الحدود . ويمثل المغرب بالنسبة لهم ، كصلة وصل بين الشرق والغرب ، شيئا ملموسا . اما السياسيون البورجوازيون المغاربة، الذين تواطأوا بالامس وابعدوا اليوم ، فانهم لا يتوانون عن تغذية الالتباس بين اليهودية والصهيونية لصرف النظر عن المحتوى الطبقي للنضال الوطني العربي ضد الامبريالية والصهيونية .

اليهود المغاربة في دولة اسرائيل

ها هي اذا غالبية اليهود المغاربة في اسرائيل ، في « أرض اسرائيل » (وهو التعبير الذي بنوا